

الباب الثالث
دراسة بلاغية في آيات الجهاد

الفصل الأول

البيان البلاغي في آية الجهاد:
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل
الله كمثل حبة أنبتت سبع
سنابل في كل سنبل مائة حبة
والله يضاعف لمن يشاء والله
واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما
أنفقوا منا ولا يأتنا بهم أجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

١. المحسن :

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
قيل: تقديره مثل صدقات الذين ينفقون
أموالهم كمثل حبة، وقيل تقديره مثل

الذين ينفقون كمثل زارع حبة
وسبيل الله : هو الجهاد وغيره .
كمثل حبة انبت : أى أخرجت
سبع سنابل في كل سنبله مئة حبة :
يعنى أن النفقة في سبيل الله بسبعمائة
ضعف .

والله يضاعف لمن يشاء : أى يزيد
على سبعمائة لمن يشاء .
والله واسع : أى واسع المقدره لا يضيق
عنه ما شاء من الزيادة . وقيل واسع
الرحمة لا يضيق عن المضاعفة .
عليم : بما كان من النفقة وبنية المنفق وما
يقصده من الإنفاق .
متا : أى منة على المعطي
الأذى : أن يعبس وجهه عليه أو يتبعه
أو يؤذيه فيما يدفعه إليه أو يصرفه

فب بعض أشخاله بسبب إنفاقه عليه^{١٣}
٢٠ البيان البلاغي

إن المعنى الذهني للتعبير ينتهي إلى
عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة
إلى سبعمائة حبة . أما المشهد الحي
الذي يعرضه التعبير فهو أوسع من هذا
وأجمل وأكثر استعجاشة للمشاعر وتأثيرا
في الضمائر فإنه مشهد الحياة النامية
مشهد الطبيعة الحية مشهد الزرعة
الواهبة ثم مشهد العجبية في عالم النبات
العود الذي تحمل سبع سنابل والسنبلة
التي تحوى مائة حبة .

وفي موكب الحياة النامية الواهبة
يتجه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء
إنه لا يعطى بل يأخذ وبأنه لا ينقص بل
يزداد وتمض موجة العطاء والثناء في

طريقها . تضاعفت المشاعر التي استجاشها
مشهد الزرع والحصيلة . فان الله يضاعف
لمن يشاء يضاعف بلاعدة ولا حساب .
يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد
حدوده ومن رحمته التي لا يعرف أحد
مداها . والله واسع عليم . لا يضيق عطاؤه
ولا يكف ولا ينضب . عليم يعلم بالانوار ويثبت
عليها . ولا تخفى عليه خافية ولكن أي
إنفاق هذا الذي ينهوا ويربوا ؟ وأي
عطاء هذا الذي يضاعفه الله في الدنيا والآخرة
لمن يشاء ؟ انه الإنفاق الذي ينبعث المشاعر
الإنسانية ولا يسوبها . الإنفاق الذي لا يؤذي
كرامة ولا يخذل شعورا . الإنفاق الذي
ينبعث عن أرتحية ونقاء ويتجه إلى
الله وحده ابتغاء رصاه .

الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ثم
لا يتبحون ما أنفقوا منا ولا أذك، لهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
والمن عنصر كربه لنيم، وشعور خشيس
واط . فالنفس البشرية لا تن بما أعطت
إلا رغبة في الإستعلاء الكاذب
أو رغبة في إذلال الآخذ، أو رغبة في
لفت أنظار الناس، فالنفس لا تن إلا بالناس
لا لله بالعطاء وكلها مشاعر لا تجيش
في قلب طيب . ولا تحظر ذلك
في قلب مؤمن . فالمن - من ثم - يحمل
الصدقة أذى للواهب وللآخذ سواء . أذى
للواهب بما يثير في نفسه من كبر وخيلاء،
ورغبة في رؤية أخيه ذليلاً له كبير لديه
وبما يملأ قلبه بالنفاق والرياء والبعد من الله

وأذى للآخذ بما يثرف نفسه من انكسار
وانهزام ومن رد فعل بالحق والانتقام
وما أراد الإسلام بالإنفاق مجرد سد الخلة
وملاء البطن، وتلافى الحاجة كلآ! وإنما أراد
تهذيباً وتركيباً وتطهيراً للنفس المصطنع
والشجاشة لشاعر الإنسانية وارتباطه
بأخيه الفقير في الله وفي الإنسانية، تذكيراً
له بنعمة الله عليه وعهده معه في هذه
النعمة أن يثكل من غير سرف ولا مخيلة
وأن ينفق منها في سبيل الله في غير منح
ولاد من. كما أراد ترضية وتنديتة لنفس
الآخذ. وتوثيقاً لصلة بأخيه في الله
وفي الإنسانية. وسداً للخلة الجماعية كلها
لتقوم على أساس من التكافل والتعاون بذكرها
بوحدة قوامها ووحدة حياتها ووحدة اتجاهها
ووحدة تكاليفها، والمن يذهب بهذا كله،

ويحيل الإنفاق سماً و ناراً ، فهو أذى
 وإن يصاحبه أذى آخر بالبدأ وباللسان
 هو أذى في ذاته تحقق الإنفاق ، وعرف
 المجتمع ويشير السخائم والأحقاد .^(٣)
 هذا حث عظيم من الله لعباده
 على انفاق أموالهم في سبيله ، وهو
 طريقة للوصول إليه . فبدخل في هذا ، إنفاقه
 في ترقية العلوم النافعة ، وفي الإستعداد
 للجهاد في سبيله ، وفي تجهيز المجاهدين
 وتجهيزهم ، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة
 للمسلمين .^(٤)

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ١ / ٢٠١ - ٢٠٢
 (٤) تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدى ١ / ٢٢٢

الفصل الثاني

البيان البلاغي في آية الجهاد :
لأن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون ، وعدا عليه حقا في
النوراة والإنجيل والقرآن ، ومن
أوفى بعهدده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك
هو الفوز العظيم .^(١)

١- المعنى :

لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة :
حقيقة الشراء لا تجوز على الله تعالى ،
لأن المشتري إنما يشتري ما لا
يملكه ، وهو عز اسمه مالك الأشياء

كلها، لكنه مثل قوله من الذي
يقرض الله فريضا حسنا في أنه ذكر
لفظ الشراء والقرض تلفظاً لتأكيد
الجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب
على نفسه عبر عن ذلك بالإثراء
وجعل الثواب ثمنا والطاعات ثمنا على
ضرب من المجاز، وأخبر أنه اشترى من
المؤمنين أنفسهم ببذلونها في الجهاد في سبيل الله
وأموالهم أيضا ينفقونها ابتغاء مرضاة الله، على
أن يكون في مقابلة ذلك الجنة . وربما
كان جهاد اللسان أبلغ، لأن سبيل الله
دينه والدعاء إلى الدين يكون أولاً باللسان
وتابعاً بالسيوف . والأمن إقامة الدليل على
صحة المدلول أولى وإيضاح الحق وبيانه أخرى
وذلك لا يكون إلا باللسان . وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم :

"يا علي لأن يهدى الله على يديه نسمة خير مما
طلمت عليه الشمس". وإنما ذكر سبحانه
شراء النفس والمال لأن العبادات على صريحتين
بدنية ومالية ولا ثالث لهما. ويروى أن الله
سبحانه تاجر للمؤمنين فأغلى لهم الثمن
فجعل ثمنهم الجنة.

يقاتلون في سبيل الله : هذا بيان للعرض الذي
لأجله اشتراهم .

فيقتلون ويقتلون : أن الجنة عوض عن
جهادهم سواء قتلوا أو قُتلوا
وعدا عليه حقا ، أن إيجاب الجنة لهم وعقد
على الله حق لا يشك فيه^(٦)

٢. البيان البلاغي

إنه نص رهيب ، إنه يكشف عن
حقيقة العلاقة التي تربط المؤمن بالله

(٦) مجمع البيان للشيخ أبو علي الفضل ابن الحسن الطبرسي / ٥ - ١١٩ - ١٢٠

وعن حفيظة البيعة التي أعطوها بإسلامهم -
طوال الحياة . فمن بايع هذه البيعة وفيها فهو
المؤمن الحق الذي ينطبق عليه وصف المؤمن)
وتتمثل فيه حقيقة الإيمان ولما فهمى دعوى
تحتاج إلى التصديق والتحقيق .

حقيقة هذه البيعة أو هذه المبايعة
كما سماها الله كرامته وفضلا وسماحة - أن الله
سبحانه . قد استخلص لنفسه أنفس
المؤمنين وأموالهم فلم يعد لهم منها شيء ،
لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا يتفقون بها في
سبيله ، لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا
كلها .. إنها صفقة مشتراة ، لشاريها أن يتصرف
بها كما يشاء ، وفق ما يفرض ووفق ما يحدر .
وليس للبائع فيها من شيء سوى أن
يمضي في الطريق المرسوم ، لا يئلفت ولا يتخير ،
ولا يناقش ولا يجادل ، ولا يقول إلا الطاعة

والعمل والإستسلام والشن هو الجذبة
 والطريق هو الجهاد والقتل والقتال والنضال
 هي النصر أو الإستشهاد .
 من بايع على هذا من أمضى عقد الصفقة
 ومن ارتضى الشن ووفى فهو المؤمن .
 فالمؤمنون لهم الذين اشترى الله
 منهم فباعوا ، ومن رحمة الله أن جعل
 للصفقة تمنا ، والافهو واهب الأتقس
 والأموال ، وهد مالك الأتقس والأموال ،
 ولكنه كرم هذا لإنسان فجعله
 مريداً ، وكرمه فجعل له أن يفقد
 العقود وعمضيها - حتم مع الله -
 وكرمه فقيده بعقوده وعهوده .
 وجعل وغاده بها مقياس إنسانيته
 الكريمة ، ونقضه لها هو مقياس
 ارتكاسه ان عالم البهيمية - شر البهيمية